

معوقات تحقيق جودة التعليم بالجزائر

-دراسة ميدانية-

Obstacles to achieving quality of education in Algeria

- A field study -

د. لامية بويدي

جامعة الوادي

تاريخ الاستلام: 2019/09/12 ؛ تاريخ القبول: 2019/12/15 ؛ تاريخ النشر: 2019/12/30

الملخص

جاء هذا المقال عبارة عن دراسة سوسيوتربوية تهدف إلى التعرف على مختلف معوقات تحقيق جودة التعليم بالجزائر ، في استجلاء واستنطاق واقعي لراهن المدرسة الجزائرية من خلال إجراء دراسة ميدانية على عينة من أساتذة التعليم الثانوي. لقد توصلت هذه الدراسة إلى تأكيد وجود معوقات امام تحقيق جودة التعليم بالجزائر، فالبعض منها تعلق بالمعوقات البشرية (المعلم والمتعلم)، والمعوقات المادية، فالبيداغوجية. هذه المعوقات وغيرها كثير يحد من فعالية المدرسة الجزائرية، هذه الاخيرة التي تسعى جاهدة إلى تحقيق الجودة التعليمية. الكلمات المفتاحية: مدرسة؛ الجودة؛ مدرسة الجودة؛ المعوقات؛ الاصلاحات.

Abstract

This article is a socio-educational study aimed at identifying the different obstacles to achieving quality of education in Algeria, through conducting a field study on a sample of secondary school teachers.

This study has confirmed its existence, some of which are related to human obstacles (teacher and student), and physical obstacles, also the pedagogy obstacles. All of these obstacles and many others limit the effectiveness of the Algerian school, the latter which strives to achieve quality in education.

Keywords: School, Quality, School of quality, Obstacles, Reforms

مقدمة:

يعد النسق التربوي من الأنساق الهامة في البناء الاجتماعي؛ فتكمن أهميته في الحفاظ على التوازن الاجتماعي من خلال تزويد مختلف الأنساق (الدينية، الاقتصادية....) برأس مال بشري يساهم في تحقيق الأهداف العامة للمجتمع. ولهذا الأهمية المتعاضمة تولي المجتمعات المتقدمة منها والمتخلفة اهتماما خاصا به من خلال توفير الإمكانيات والمتطلبات المطلوبة المادية والبشرية والبيداغوجية. والجزائر على غرار دول العالم تعمل باستمرار على ادخال التحديثات عليه في ظل مفهوم الجودة التي من شأنها أن تساهم في تحقيق غايات التعليم الكبرى. لكن على الرغم من ذلك يعاني قطاع التعليم في الجزائر جملة من المعوقات والمشكلات التي تحد من فعالية أدائه.

أولاً- الإشكالية:

إن التوجه نحو بناء مجتمع المعرفة يجعل من الضرورة إيلاء الاهتمام بالنسق التعليمي من خلال ضمان الإمكانيات الضرورية البشرية والمادية و... كمدخلات تتوفر بها خصائص الجودة؛ بما يتماشى وعصر التكنولوجيات الرقمية التي أصبحت الممهد في تدفق المعرفة الإنسانية وفي صناعتها أيضا.

إن تحقيق مبدأ الجودة في التعليم أصبح شرطا أساسيا لتحقيق غايات التعليم؛ وانطلاقا من ذلك سعت الجزائر إلى البحث عن أفضل السبل والطرق التي تكفل تحقيق ذلك. هذا مع التذكير بأن المدرسة الجزائرية مؤسسة تعليمية فنية مقارنة بغيرها، لذا تبقى الإصلاحات التي تحدث على مستواها عبارة عن محاولات جادة نحو التأسيس لمدرسة جزائرية تحمل دلالات هوية المجتمع وثقافته وتطلعاته أيضا.

إن المتمعن في راهن المدرسة الجزائرية يدرك ما تعايشه من ضغط مستدم جراء الإصلاحات والتغييرات المستديمة التي أثقلت كاهل الجميع من معلمين ومتعلمين وأولياء... ليضعها في حالة استنفار دائم. وعلى هذا الأساس؛ جاء هذا المقال عبارة عن بحث استقصائي لمختلف معوقات تحقيق جودة التعليم في الجزائر من وجهة نظر أساتذة التعليم الثانوي، وذلك للإجابة على التساؤل التالي:

- ما هي مختلف معوقات تحقيق جودة التعليم بالجزائر من وجهة نظر أساتذة التعليم الثانوي ؟

ثانيا- أهمية وأهداف الدراسة:

1- **أهمية الدراسة:** تكتسي الدراسة الحالية أهمية بالغة من حيث أنها تركز الاهتمام على نظام هام في المجتمع وهو النظام التربوي، وبخاصة في ظل تنامي الاهتمام بالعنصر البشري المتعلم الذي يعول عليه في عملية البناء الحضاري. فالمدرسة كمؤسسة تعليمية تعمل على تزويد المجتمع بالأفراد الفاعلين القائمين بالأدوار المتوقعة منهم. ومن أجل تحقيق المواءمة مع معطيات العصر الرقمي كان لزاما إدخال تغييرات وإجراء إصلاحات عميقة على مستوى هذا النسق الحيوي، مما أفرز مشكلات توافقية كثيرة.

2- **أهداف الدراسة:** نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف العام المتمثل في الكشف عن مختلف معوقات تحقيق جودة التعليم بالجزائر من وجهة نظر أساتذة التعليم الثانوي، ويتحقق ذلك من خلال:

- الكشف عن المعوقات البشرية التي تعيق تحقيق جودة التعليم بالجزائر.
- الكشف عن المعوقات المادية التي تعيق جودة التعليم بالجزائر.
- الكشف عن المعوقات البيداغوجية التي تعيق تحقيق جودة التعليم بالجزائر.

ثالثا- مبررات اختيار الموضوع للدراسة:

يكتسي الموضوع الموسوم "معوقات تحقيق جودة التعليم بالجزائر" أهمية بالغة في الحقل السوسيو تربوي، من حيث أنه يولي التركيز على قطاع هام في المجتمع وهو القطاع التربوي التعليمي، إذ يعول عليه في عملية تزويد المجتمع بمخرجات

ذات جودة ونوعية عالية تماثل الموجودة بباقي الدول. كما أن السعي الدائم نحو بناء مجتمع المعرفة يتطلب الاهتمام بالموارد البشري على اعتبار أنه رأسمال حيوي دينامي صانع لمستقبل المجتمع. وجاءت هذه الدراسة لدواعي واعتبارات عدة نوردتها على النحو الآتي :

- كثرة الإصلاحات وتواليها بقطاع التربية، إذ مست مختلف جوانبه خاصة ما تعلق بالعملية التربوية.
- كثرة المشكلات التربوية بالمدرسة الجزائرية شكل دائرة نقاش وانتقاد وتشكيك دائم بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين حولها.
- البحث عن السبل والآليات التي بإمكانها أن تذلل ما من شأنها الحد من فعالية المؤسسة التربوية وضمان جودتها، من خلال الكشف عن معيقات تحقيق مدرسة الجودة.
- كثرة الحديث عن الجودة في التعليم؛ دفع إلى ضرورة دراسته دراسة علمية موضوعية بعيدة عن الصخب الإعلامي و الاجندات السياسية.

رابعاً- تحديد التعاريف الإجرائية:

- 1- **معوقات:** كل ما بإمكانه أن يحد من تحقيق وبلوغ الأهداف المرجوة؛ ليشكل بذلك تحديا يجب تفاديه أو تذليله.
- 2- **جودة التعليم:** يقصد بها توفر جملة من الخصائص والمميزات الدالة على توافر التميز والموائمة مع الغايات في العملية التعليمية والتعليمية سواء على مستوى البرامج والمدخلات والمخرجات أيضا.
- 3- **معوقات تحقيق جودة التعليم:** وهو جملة العراقيل والصعوبات التي تحد من بلوغ الأهداف والغايات المسطرة في التعليم والتي حصرناها في: معوقات بشرية، معوقات مادية، معوقات بيداغوجية.

خامساً- التعريف بالمدرسة الجزائرية:

- 1- **أهداف النظام التربوي في الجزائر :** إن النظام التعليمي الرسمي عامل من عوامل نقل تصورات التنمية إلى الأفراد، وكذا ربطها بالأهداف العامة للتنمية (زايد، 1986، 91) فيما يلي نتعرض للبعض من الأهداف العامة للتعليم في الجزائر- والتي تتغير وفقا لمعطيات المجتمع و متطلبات التنمية- على النحو التالي (وزارة التربية الوطنية، 2005، 23-24):

- تكوين أطفال متميزين بسعة الأفق والخيال وسلامة البدن، يصبون إلى قيم خلق الحق والخير والجمال، وذلك من خلال إيجاد توازن متناسق بين جوانب التربية الفكرية والأخلاقية والفكرية والبدنية.
- اكتساب الأطفال حرية التفكير التي تساعدهم على إصدار الأحكام وتبني آراء مستقلة وتعويدهم على تحمل مسؤولية تصرفاتهم.

- تمكين الشباب من تكوين نظرة عن العالم دون فقدان هويته الثقافية وتعويد احترام خصوصيات الثقافات الأخرى.
- ضمان حد أدنى من المعارف والمهارات والكفاءات للجميع بتعميم التعليم الأساسي.
- تمكين المتعلمين من التكيف مع مهام متعددة ومن القدرة على التحسين المتواصل لمستوياتهم في ضوء تطور أشكال الإنتاج وظروف العمل.
- توجيه أهمية كبيرة للتكوين العام باعتباره الأرضية الضرورية لكل تكيف مستقبلي مع التغير.

2- مقومات وركائز النظام التربوي في الجزائر: نعرض فيما يلي أهم ركائز ومقومات النظام التربوي في الجزائر (بن محمد، 2001، 35-38):

- **الأصالة:** وهي أن تكون المنظومة التربوية معبرة عن الأصالة الحقيقية لهذا المجتمع ، أي أن تتمكن المدرسة من صياغة قيمها من خلال المجتمع، وأن تستنطق تاريخه كله، وأن تعبر عن حضارته، وأن تجعل هذه الحضارة قادرة على التفاعل الدائم مع معطيات العالم الخارجي، وأن تستطيع التمازج من مركز قوة مع هذه الحضارة العالمية التي نعيشها .
- **الحدثة:** إن كل مدرسة مطالبة بأن تؤدي وظيفتين هما: دور الحفاظ والتغيير. إن كل مدرسة يجب أن تؤدي هذين الدورين في آن واحد. أن الحدثة سلوك وفكر نشيط وهي منهج في التعامل مع الواقع، من خلال الطرح والمعالجة الموضوعية لهذا الواقع، في ظل إشراك مختلف الفاعلين في التعليم .
- **الفعالية:** إن المنظومة التربوية في كل مجتمع سواء كان متحضرا متقدما أو ناميا تعد جهازا إنتاجيا، غير انه لكي يتحقق ذلك يجب أن يكون فعالا، حيث أن الفعالية تتأتى من وجود أفراد ذوي كفاءات التي تقتضي العمل الجاد والمستمر والدائم وبذل مختلف الجهود بكل جدية. أن منظومة التربية تحرص على إيجاد أفراد ذوي شخصيات فاعلة و مسؤولة تنسم بالجدية في الأداء سواء في داخل المحيط المدرسي أو خارجه.
- **العقلانية:** إن المدرسة الناجحة هي التي تتفادى وجود أفراد آليين منصاعين مسلوبو الحرية الفكرية والإرادة، بل هي توجد نموذج من الأفراد القادرين على فهم واقعهم والاستجابة لمختلف المواقف التي يتموضعون فيها وفقا لقناعاتهم الذاتية والشخصية.

إن العقلانية تفترض تدريب المتعلم وتمكينه من القيم المجتمعية بصورة تجعله يتقبلها ذهنيا ومنطقيا، فيقبل على العمل وفقا لها في حياته، مما يجعله فردا فاعلا وقادرا في إثبات ذاته ووجوده الفردي والمجتمعي، بما فيه صلاح للمجتمع الكلي.

3- المدرسة الجزائرية في ظل مفهوم الجودة: لقد برزت في الآونة الأخيرة مفهومات كثيرة؛ تدرج في سياقات النوعية التعليمية أو ضمان نوعية جيدة في التربية والتعليم. إن للنوعية التربوية -جودة التعليم- وجوه عدة تركز النظم

والاهتمامات على جانب منها أو على بعضها في الخطط والسياسات التربوية واستراتيجيات الإصلاح. وتتمثل بعض هذه الوجوه فيما يلي (بوترعة، 2014، 416):

- عمليات التحسين والتجويد للنوعية عن طريق النهوض بالمستخدمين وترقية مستواهم عبر تنظيم وتكثيف الدورات التدريبية والورشات والندوات والرسكلة والتكوين المستمر .
 - تحسين النوعية عبر تخفيض نسبة المتدربين إلى كل معلم أو أستاذ.
 - إبراز الجودة عبر وضع شروط جديدة كاشتراط حيازة شهادة جامعية للانخراط أو الاندماج في سلك التعليم
 - خدمة النوعية التربوية عبر خفض حجم الفوج البيداغوجي.
- تحرص حاليا الوزارة الوصية على قطاع التعليم والتربية على ضمان النقلة النوعية في منظومة التربية في ضوء مفهوم الجودة؛ وهذا ما يؤكد المنشور الإطار 2019/2018 رقم 1053 المؤرخ في 24 جوان 2018، حيث يعد بمثابة ترجمة حقيقة للسياسة العامة للتربية في الجزائر. كما أنه الأرضية و المرجع الذي يستند إليه الفاعلون في قطاع التربية في أداء العمل التربوي.

ووفقا لهذا المنشور تتميز السنة الدراسية الحالية (2019/2018) بالبداية في تنفيذ سيرورة مدرسة النوعية التي تطمح إليها جميع مكونات الجماعة التربوية والوطنية. كما أكد ذات المنشور إلى أن نقلة المدرسة عن طريق مؤشرات الجودة هو بناء جماعي ونهج مؤسسي تشاركي، من خلال أطر مرجعية جديدة وغير مسبقة في تاريخ مدرستنا، ولكن استنادا إلى العناصر الأكثر إيجابية وذات الصلة بالعمل التربوي الحالي. كما يؤكد أن النقلة النوعية للمدرسة هي فعل مسئول يجب علينا ضمانه، وتحمله قصد اندماج بلادنا في مجتمع المعرفة من خلال تهيئة رأس مالها البشري عملا بأحكام المادة 4 من القانون رقم 04/08 المؤرخ في 23 جانفي 2008 المتضمن للقانون التوجيهي للتربية الوطنية (وزارة التربية الوطنية، 2018).

سادسا- الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية :

1-المنهج المعتمد: تماشيا مع طبيعة الموضوع المدروس والأهداف المرجوة منه؛ تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يمكن من وصف الظاهرة أو الموقف كميًا وموضوعيًا.

2-أداة جمع البيانات: تم إعداد استبيان بغرض الكشف على معيقات تحقيق الجودة بالمدرسة الجزائرية، والذي ضم قائمة من البنود (12 بندا)، وتوزعت على ثلاث محاور نوردها كآتي :

- ✓ المحور الأول: معيقات البشرية تحقيق مبدأ الجودة في التعليم في الجزائر (1-4).
- ✓ المحور الثاني: معيقات المادية تحقيق مبدأ الجودة في التعليم في الجزائر (5-8).
- ✓ المحور الثالث: معيقات البيداغوجية تحقيق مبدأ الجودة في التعليم في الجزائر (9-12).

أما فيما يتعلق بالبدائل فقد منحت لها التقديرات و تمثلت في الآتي: نعم /2، لا / 1
3-مجالات الدراسة: وتتمثل في:

المجال المكاني: تم إجراء الدراسة الميدانية بثانوية بوروايح بمدينة قلعة- الجزائر.

المجال الزمني: تم إجراء الدراسة الميدانية بتاريخ 14-16 ماي 2018 .

المجال البشري: يتمثل مجتمع الدراسة في أساتذة التعليم الثانوي، حيث تم اعتماد طريقة الحصر الشامل لجميع مفردات الدراسة (28 مفردة) من أساتذة ثانوية بوروايح.

4-الخصائص السيكومترية: تم التحقق من صدق أداة القياس من خلال (الصدق الظاهري) إخضاعها على (4) أساتذة في علم النفس وعلوم التربية، حيث أبدوا موافقتهم حول ما جاء في الاستبيان. أما فيما يتعلق بثبات الأداة فتم حساب معامل الفا كرومباخ والذي قدر ب(0.741) مما أكد ثبات الأداة وجاهزيتها للتطبيق النهائي على عينة الدراسة الميدانية النهائية.

5-الأساليب الإحصائية: معامل الفا كرومباخ، التكرارات والنسب المئوية.

سابعاً- عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

بعد جمع الاستبيانات من المبحوثين؛ تم تفرغها وتبويبها في جداول بسيطة والتي تم رصد النتائج في الجدول الموالي:

الجدول (1) يبين استجابات المبحوثين نحو معوقات تحقيق جودة التعليم بالجزائر

البنود	نعم		لا		الترتيب
	ك	%	ك	%	
يعد نقص عدد المواطنين في الثانويات معيقاً أمام تحقيق الجودة في التعليم	20	71.42	8	28.57	5
تشكل فترة تكوين الأساتذة الجدد معيقاً أمام تحقيق الجودة في التعليم	14	50	14	50	8
يعد الاكتظاظ داخل الأقسام الدراسية معيقاً أمام تحقيق الجودة في التعليم	22	78.57	6	21.42	4
تعد مشكلة العنف المدرسي معيقاً أمام تحقيق الجودة في التعليم	19	67.85	9	32.14	6
تعد الأخطاء الكثيرة (لغوية/ معرفية/ إملائية) الواردة في الكتب المدرسية معيقاً أمام تحقيق الجودة	23	82.14	5	17.85	3
كثافة البرامج التربوية تحد من تحقيق الجودة	18	64.28	10	35.71	7
إن طريقتي التقويم و التقييم التربويين المعتمدة تشكلان تحدياً أمام الأساتذة	20	71.42	8	28.57	5
إن عدم توفر عنصر الدافعية نحو التعلم لدى المتدربين يعد معيقاً نحو تحقيق الجودة	27	96.42	1	3.57	1
إن التغيب اللامبر لدى البعض من المتعلمين يحد من ادائية الأساتذة مما يعيق تحقيق الجودة	25	89.28	3	10.71	2
إن عدم توفر الأدوات التربوية داخل المؤسسة التربوية بالشكل الكافي يعرقل سير العملية التعليمية	14	50	14	50	8

7	35.71	10	64.28	18	إن الاعتماد غير الكافي على التكنولوجيات الرقمية في التعليم يعيق تحقيق مبدأ الجودة في التعليم
9	57.14	16	42.85	12	إن الإضرابات المتكررة في قطاع التعليم يعد معيقا أمام تحقيق الجودة في التعليم
	30.95	104	69.04	232	المجموع العام

لقد تبين من الجدول أعلاه؛ وجود معوقات تحقيق جودة التعليم بالجزائر من وجهة نظر أساتذة التعليم الثانوي محل الدراسة، والتي تنوعت ما بين معوقات بشرية وأخرى مادية وبيداغوجية، حيث أن ما نسبته (69.04 %) من المجموع العام لاستجابات الباحثين نحو كل فقرات المقياس جاءت موجبة (اتجاه الاستجابة نعم) مؤكدة وجود المعوقات وتنوعها، مقابل (30.95%) من نفوا ذلك.

ولقد ترتب استجابات الباحثين بحسب الاتجاه الموجب نحو البنود (نعم) الباحثين على النحو الآتي:
- فجاءت في المرتبة الأولى: عبارة أن عدم توفر عنصر الدافعية نحو التعلم لدى المتدربين يعد معيقا نحو تحقيق الجودة في التعليم و بنسبة قدرت ب(96.42%)

- أما في المرتبة الثانية فجاءت عبارة: إن التغيب اللامبرر لدى البعض من المتعلمين يحد من اداتية الأساتذة، مما يعيق تحقيق الجودة في التعليم، وذلك بنسبة قدرت ب(89.28%)

- في حين احتلت المرتبة الثالثة عبارة: تعد الأخطاء الكثيرة (لغوية/ معرفية/ إملائية) الواردة في الكتب المدرسية معيقا أمام تحقيق الجودة في التعليم، بنسبة قدرت ب(82.14%)

أما المرتبة الرابعة فقد جاءت عبارة: يعد الاكتظاظ داخل الأقسام الدراسية معيقا أمام تحقيق الجودة في التعليم، وذلك بنسبة قدرت ب(78.57%)

- وتقاسمت المرتبة الخامسة عبارتاً: إن طريقتي التقويم والتقييم التربويين المعتمدة تشكلان تحديا أمام الأساتذة، يعد نقص عدد المؤطرين في الثانويات معيقا أمام تحقيق الجودة في التعليم، وبنسبة قدرت ب(71.42%)

- ووردت في المرتبة السادسة عبارة: تعد مشكلة العنف المدرسي معيقا أمام تحقيق الجودة في التعليم ذلك بنسبة مقدرة ب(67,85%)

- واحتلت المرتبة السابعة عبارة: كثافة البرامج التربوية تحد من تحقيق الجودة وبنسبة قدرت ب(64.28%)
- أما المرتبة الثامنة فتشاركتها كل من عبارة: إن عدم توفر الأدوات التربوية داخل المؤسسة التربوية بالشكل الكافي يعرقل سير العملية التعليمية/تشكل فترة تكوين الأساتذة الجدد معيقا أمام تحقيق الجودة في التعليم بنسبة قدرت ب(50%)

- في حين احتلت ذيل الترتيب عبارة إن الإضرابات المتكررة في قطاع التعليم يعد معيقا أمام تحقيق الجودة في التعليم بنسبة قدرت ب(42.85%).

يعد النظام التربوي أحد أهم النظم المكونة للبناء الاجتماعي؛ فاستقراره عامل هام في استقرار المجتمع وتماسكه، من خلال ما يؤديه من وظائف ومهام، وبخاصة ما تعلق بتزويد المجتمع بالأفراد الفاعلين المدركين لأدوارهم المتوقعة. ومن أجل ذلك يخضع هذا النظام للإصلاح والتغيير بما يتناسب ومتطلبات العصر ومستجداته. ونحن اليوم نتحدث عن نظام تربوي أي عن مدرسة فاعلة وصانعة لمجتمع المعرفة، لذا يتوجب أن تحمل خصائص ومميزات ذات نوعية عالمية؛ تحاكي غيرها من الدول. مما يجعل من مدرسة الجودة تنسم بمقاييس دولية تنافس غيرها من المدارس.

والجزائر على غرار دول العالم المتقدم منه خاصة؛ تسعى إلى تحقيق نقلة نوعية في منظومة التربية في ظل تبني مبادئ الجودة. فما زالت تخضع لسلسلة من الإصلاحات الجوهرية التي باشرتها منذ 2004 إلى يومنا هذا؛ ففي ظل النقلة النوعية للمدرسة الجزائرية فإنه تتميز السنة الدراسية الحالية (2018/2019) بثلاث ديناميات مهيكلية، وهي حسب ما ورد في المنشور الإطار 2019/2018 (وزارة التربية الوطنية a، 2018):

- تلك المعززة للجهود المبذولة في التحوير البيداغوجي، فطموح النظام التربوي هو بلوغ معايير جودة التربية على المستوى الدولي، يظل هو المحفز الذي يسمح بتوجيه وتنفيذ وضبط القرارات والإجراءات في الميدان.

- الحفاظ على دينامية تحسين الحكامة في النظام، لتكون الشفافية والتسيير الجوّاري والتشاور مع تنفيذ ميثاق أخلاقيات القطاع المبادئ التي تشكل محور السياسة التربوية خلال السنة المقبلة.

- تعزيز مكان وأهمية التكوين من منظور الاحتراف في ممارسة التعليم والتسيير في خدمة التعلّيمات التلاميذ. فالاحترافية ليست مجموع عمليات تكوينية، بل هي عبارة عن ترابط جماعي وثقافة مشتركة برؤية أفضل للآفاق المنتظرة؛ انطلاقا من نظام وطني للمعيارية أطلق عليه رسميا MARWATTT للمرجعية الوطنية للتعلّيمات وللتقويم وللتكوين.

إن المتتبع لمسار الإصلاح في منظومة التعليم بالجزائر؛ يلحظ الطابع الإجرائي لمختلف الإصلاحات في تطبيقها لمعايير الجودة. فتحقيق النقلة النوعية في المدرسة الجزائرية يتطلب تجويد مدخلاتها المادية منها والبيداغوجية والبشرية. مما يضمن مخرجات نوعية بما يتماشى وفقا للغايات والأهداف العامة للتربية. بالرغم من ذلك تعترض عملية النقل النوعي للمدرسة الجزائرية جملة من المعوقات والعراقيل التي تعد تحديا يفرض الوقوف أمامه في فهم موضوعي تشخيصي لراهنها واستكشاف لمشكلاتها ومسبباتها في محاولة لإيجاد ما بإمكانه تصويبها واستقرارها.

بناء على ما تقدم؛ نعرض بعض معوقات (المشكل) تحقيق جودة التعليم من وجهة نظر أساتذة التعليم الثانوي على النحو الآتي:

1-المعوقات البشرية:

يعد المورد البشري عنصرا هاما في معادلة البناء الحضاري، والفعل الحضاري يستوجب جودة الرأسمال البشري؛ والتي تتحقق في ظل ضمان الجودة في التعليم. والعملية التعليمية تستهدف من خلالها تحويل المدخلات البشرية المتمثلة خاصة في المتعلمين إلى مخرجات ذات كفاءة عالية، وجودة متميزة ومتفردة، فضلا عن المعلمين والمؤطرين على اعتبار أنهم القائمون بالعملية التربوية من إشراف وتسيير وتوجيه، ومتابعة.

ونتطرق في النقاط الآتية إلى المعوقات البشرية التي تعيق تحقيق مبدأ الجودة في التعليم بالمدرسة الجزائرية:

1-1- المتعلم: إننا نعتقد بأهمية توفر خاصية الجودة في مدخلات التعليم بدءا بالمتعلمين على اعتبار أنهم محور العملية التربوية. ولقد تم تقدير (9269892 تلميذا) (وزارة التربية الوطنية 2018،b) التحق بمقاعد الدراسة للسنة الدراسية 2018/1017 توزعت بين الجنسين الذكور والإناث على التوالي (50.8 %)، (49.9 %). كما توزعت بنسب متفاوتة على مستويات التعليم كما يلي:

- ✓ التربية التحضيرية: فقدت نسبة المسجلين في التربية التمهيدية التحضيرية (5.8 %)
- ✓ التعليم الابتدائي: حيث قدرت نسبة المسجلين في التعليم الابتدائي (48.8 %)
- ✓ التعليم المتوسط: حيث قدرت نسبة المسجلين في التعليم المتوسط (31.7 %)
- ✓ التعليم الثانوي: حيث قدرت نسبة المسجلين في التعليم الثانوي (13.7 %)

وهنا تجدر الإشارة إلى أن التعليم في الجزائر وبخاصة في مرحلة التعليم الإلزامي فهو مجاني وإجباري خاصة في مرحلة التعليم الأساسي (الابتدائي + المتوسط)، مما يدفع ببعض المتعلمين دفعا نحو مقاعد الدراسة دون رغبة منه نحو التعليم لتتقضي سنوات في أحضان المدرسة في إكراه مستديم له، بهدف بناء علاقة ودية بينه وبينها أي المدرسة. وهو ما يبدو جليا اليوم على البعض من تلاميذنا. وعموما تبدو على المتعلم بالمدرسة الجزائرية عدة خصائص وسمات تعد بمثابة معوقات أمام تحقيق الجودة في التعليم وهي :

أ- العزوف أو التغيب العمدي عن الدراسة: إن العزوف أو التغيب عن مقاعد الدراسة أضحي ظاهرة ومشكلة أخلطت أوراق الساسة في قطاع التعليم، وبخاصة لدى تلاميذ الصفوف النهائية (البكالوريا) في اكتفاء منهم بالدروس الخصوصية التي أصبحت وجهة الكثيرين. ولا يفوتنا الحديث عن الدروس الخصوصية (دروس الدعم)، على اعتبار أنها ظاهرة اجتماعية خطيرة إن نظرنا إليها على أنها حلت محل المدرسة الرسمية، حيث كان يستنجد بها التلاميذ في حالات المعاناة من صعوبات تعلم أكاديمية أو تأخر وضعف دراسي. غير أننا اليوم نكاد نجزم أنها عوضت المدرسة العادية لاعتبارات عدة نوجزها في النقاط الآتية:

- الصورة الذهنية الانطباعية في ذوات المتعلمين وحتى الأولياء من كون النجاح يحقق في ظل الاستفادة من الدروس الخصوصية.

- الصورة الذهنية المشوهة عن المدرسة العادية، من حيث أنها نموذج للكسل والعنف.
- الصورة الانطباعية لدى المتعلم عن كون معلم المدرسة العادية لا يكلف عناء تلقين المعلومة كما يجب. بل يكفي بعرضها بطرائق كلاسيكية.

ب-العنف المدرسي: تعرف المدرسة على أنها مؤسسة للانضباط والانتظام والنظام؛ غير أنه أصبح مشكوكا في أمرها بسبب تفشي ظاهرة العنف بها. فظاهرة العنف المدرسي من الظواهر الاجتماعية الخطيرة، فأضحت تغزو مدارسنا بمختلف مستوياتها وتهدد الاستقرار بها. ولعل أخطر ما تمثل في العنف الممارس من طرف المتعلم نحو المعلم في صورة تبعث في النفس الذهول والاستغراب. فعادة ما يوجه التعنيف والعدوان من الأعلى نحو الأدنى أو الأقوى نحو الأضعف ومن السيد نحو العبيد... ونحن اليوم نشهد تعديا صريحا على المعلم الذي كاد أن يكون رسولا. وفي اعتقادي إن هذه الظاهرة استفحلت في مدارسنا بسبب القانون الذي يسلب من الأستاذ حقه في إحلال الضبط داخل الصف الدراسي، ليجعل منه ملقنا للمعرفة في جو تنعدم فيه أدنى شروط الأمن، فخوف مستلم يتملكه، في ترقب مما سيصيبه من متعلميه.

ولعل ما جعل الوضع يزداد تأزما وتفاقما غياب العقوبة المدرسية، فعلى سبيل المثال نجد القرار رقم 778 المؤرخ 1991/10/26 المتعلق بنظام الجماعة التربوية في المؤسسة التربوية والتكوينية، جاء في المادة 73 منه "يعد التأديب البدني أسلوبا غير تربوي في تهذيب سلوكات التلاميذ، وتعتبر الأضرار الناجمة عنه خطأ شخصيا، يعرض الموظف الفاعل إلى تبعات المسؤولية الإدارية والجزائية التي لا يمكن للمؤسسة إن تحل محل الموظف في تحملها".

كما أن قانون 04/08 المؤرخ في 2008/1/23 المتضمن للقانون التوجيهي للتربية للمادة 21 "يمنع العقاب البدني وكل أشكال العنف المعنوي والإساءة في المؤسسات التربوية، كما يتعرض المخالفون لأحكام هذه المادة لعقوبات إدارية دون الإخلال بالمتابعات القضائية".

لقد أكدت الوزارة الوصية أنه خلال 1999 إلى 2001 تم تسجيل ما يقدر ب(2273 حالة) اعتداء جسدي بين التلاميذ. أما خلال (2010-2011) فإنه تم تسجيل ما يزيد عن ثلاث آلاف عنف في التعليم الابتدائي (بين التلاميذ) أما التعليم المتوسط فقد تجاوز العدد 13 ألف حالة، في المقابل تم تسجيل ما يقدر بثلاث آلاف حالة في التعليم الثانوي (دريدي، 2007، 13-17).

ومن أجل الحد من تنامي مثل هذه الظاهرة الخطيرة بمدارسنا تم تبني استراتيجية وقائية منها تضمنها المنشور الإطار 2018/2019 منها (وزارة التربية الوطنية a، 2018) نوردها على النحو الآتي:

✓ نشر بروتوكولات الوقاية من العنف في الوسط المدرسي بجميع أشكاله و مكافحته التي تم إعدادها في هذا الصدد في مؤسسات التربية و التعليم ووضعها حيز التنفيذ.

✓ تكثيف عمليات تحسين التلاميذ وكل الجماعة التربوية ضد جميع أشكال العنف في الوسط المدرسي، وذلك بتفعيل الاتفاقية الإطار بين وزارة التربية الوطنية ووزارة الدفاع الوطني ووزارة الداخلية والجماعات المحلية المتعلقة بالوقاية من العنف في الوسط المدرسي.

ج-الدافعية نحو التعلم والانجاز: تعد الدوافع مجموع الموجهات والحفزات النفس اجتماعية...التي توجه سلوك الفرد نحو أهداف محددة. فالدوافع والدافعية هي التي تجعل منا نسعى ونجتهد في حياتنا وتسمنا بسمة الإنسانية وتنزع عنا السمة الحيوانية في تهذيب وصقل لسلوكتنا بما يتماشى والكل الثقافي القيمي. والدوافع البشرية متنوعة ومتعددة، ولعل من أهمها الدافعية نحو التعلم والانجاز في تجسيد لتلك العلاقة القائمة بين الفرد والبيئة الاجتماعية المتمثلة في مؤسسة المدرسة.

تبقى المدرسة بنظامها التربوي تحتل مكانة هامة في حياة الفرد والمجتمع؛ إذ يعول عليها في عملية تزويد المجتمع بمخرجات ذات سمات وخصائص معينة، لذا تسهر من خلال تطبيق مناهج وبرامج تربوية على بلوغ الأهداف والغايات المحددة. غير أن فعالية هذه المدرسة مرهون باعتبارات عدة أهمها، خصائص المتعلمين على اعتبار أنهم محور عملية التعلم خاصة ما تعلق بدافعيتهم نحو التعلم. نذكر في هذا المجال عددا من المبادئ التي ينمي من خلالها المعلم أساليب السلوك التي تتناسب مع الموقف التعليمي وحاجات الطلاب وهي(الشرقاوي، 2013، 242-256):

- تركيز الانتباه حول الموضوعات المطلوب تعلمها. - تحقيق الحاجة إلى الانجاز. - تحديد الأهداف بوضوح.
 - تنمية الميول لتحقيق الهدف. - مستوى العمل المطلوب تعلمه. - الحافز - الثواب و العقاب. - تكملة موضوع التعلم.
 - الاستمتاع بالموقف التعليمي - السجلات و الرسوم البيانية -منحنى التعلم.
- فقد نشر المجلس القومي للتفوق في مجال التعليم في عام 1983 تقريرا بين فيه أن المجتمع الأمريكي يواجه ظواهر تستحق التوقف أمامها. فهناك انخفاض في الأداء على اختبارات التحصيل بشكل يعكس التدهور في الأداء المدرسي، وفي مجال العمل بعد ذلك. كما أشار ذات التقرير إلى أن طالب الجامعة أصبح أقل قدرة على القراءة وفهم المادة المركبة، إذا ما قورن بطالب الجامعة قبل هذه الفترة بعشر سنوات. فالطلبة عاجزون عن التعبير عن أنفسهم وعن صياغة الأفكار المجردة والربط بينها (حليفة، 2000، 17).

إن كان هذا حال أمريكا، فنحن أمام معضلة حقيقة تتمثل في تعزيز دافعية المتعلم نحو التعلم. فنحن بصفتنا أولياء ومدرسين نواجه مشكلة عويصة تتمثل في انخفاض مستوى الدافعية نحو التعلم من طرف أبنائنا، لذا يجب علينا التدخل السريع والعقلاني من اجل احتواء الوضع من خلال انتهاج اسلم الطرق والاستراتيجيات التي بإمكانها إن تسهم في الرفع من مستوى الدافعية نحو التعلم ونحز الانجاز معا.

2-1- المعلم: يعد المعلم أحد عناصر العملية التربوية، فهو الموجه والمرشد للمتعلم، فيدفع به نحو اكتساب العلم والمعرفة المفوضية إلى بناء مجتمع المعرفة، بالطبع كل هذا رهين توافر خاصية الجودة الشاملة في قطاع التعليم بكل مكوناته وامكاناته المادية منها والمعرفية والبشرية.

إن الاسهام الفعال للمعلم بالمدرسة الجزائرية في ظل مفهوم الجودة مرهون بعدة اعتبارات نوجزها فيما يلي:

أ- شخصية المعلم: وهنا تؤدي شخصية المعلم دورا مؤثرا إيجابيا أو سلبا في عقول الناشئة وشخصياتهم و حتى تتحقق أفضل النتائج فما على المعلم إلا اللجوء إلى ما يلي (خوري، 1996، 164-165):

- ✓ إشراك التلاميذ في العمل مع الآخرين، إذ من شأنه تنمية عامل التعاون وتقوية تفكير التلميذ في جعله ينمي نمطا خاصا من التفكير غير مرتكز على عامل الأنانية.
- ✓ تنمية وخلق نمط من التفكير الانتقادي .
- ✓ مراقبة سلوك المتعلم عبر إرشاده المستمر.
- ✓ احترام شخصية المتعلم من اجل غرس الثقة بنفسه.
- ✓ تهيئة المتعلم لان يكون مواطنا صالحا يحترم نفسه و يحترم الآخرين ويحترم وطنه.
- ✓ خلق جو من الصلة بين المتعلم و المجتمع الذي يعيش فيه ففي هذه الصلة فهم للبيئة التي يعيش فيها.
- ✓ بذل جهد ملحوظ من اجل فهم مشاكل المتعلم و السعي إلى حلها قدر الإمكان.
- ✓ مساعدة المتعلم على تكوين مدركات حسية صحيحة لتكون في المستقبل أساسا صادقا لمدركات كلية واضحة حافلة بالمعاني والأفكار.

✓ توجيه المتعلم نحو البحث والدراسة العلمية، مما يجعله يقف موقف الباحث ويدفعه إلى التفتيش عن الحقيقة النسبية. إن الأمر الذي يستوقفنا في هذا المقام عند صورة المعلم لدى المتعلم؛ إذ كان بأمس ينظر إليه على أنه في مرتبة الأنبياء والرسول، وأيضا في مصف الآباء فهو المرابي والموجه والداعي إلى الخير والصالح. فهو يؤدي رسالة نبيلة تسهم في بناء مجتمع حضاري قوامه الأخلاق الرفيعة والعقول النيرة والقلوب الصادقة.... صورة شابها التحول والتبدل في مجتمع مالت الكفة فيه لصالح تشيؤ الموجود، فالمعلم في اعتقاد البعض كأحد الموجودات والعلم أيضا.... وكل شيء إلا وله ثمن أو مقابل. فالعلم والمعرفة أصبحت سلعة تباع وتشترى، فما بالناس بالمعلم.... وعالم العلم والمعرفة أصبح بمثابة سوق تجارية فوضوية تضم الصالح والطالح، أما الفائز فهو الذي يتفنن في ترويج سلعته الحسنة أو السيئة... فأنا لنا نحن من تحقيق مبدأ الجودة في وجود صور انطباعية ذهنية معززة لكل ما هو رديء و رث.

كما قد تدعم هذه الصورة الذهنية نحو المعلم والعلم من طرف بعض المعلمين الذين انخرفوا عما وجدوا لأجله، ومتعلمين أجمروا في حق المعرفة ومن يمثلها، في دوس بالأقدام على كل هؤلاء. ونكشف عن واقع مرير ومخزي لكتب

تقذف بين الأيدي والأرجل أو يجلس عليها... ومعلمون يضربون ويشتمون وحتى يقتلون. فما ذنب هؤلاء المعلمين وهذه الكتب لتجد قسوة لامتناهية على يد متعلمين. وهناك من يتحجج بمراحل نمائية تمارس ضغطا على أصحابها، أو بأوضاع أسرية مزرية ترخص لبعض المتعلمين تخطي وتجاوز الضوابط السلوكية الأخلاقية منها والقانونية.

غير أن هذه الحجج ومثيلاها أصبحت مطية تبيع المخطور، والوضع المثير أن الصورة الذهنية المحملة عن المعلم والعلم... في ذوتنا نحن-يوما ما على اعتبارنا متعلمين في مدة وجيزة لا تزيد في اعتقادي عن عقد من الزمن - مغايرة عن ما هي الآن أين كاد المعلم أن يكون رسولا، إذ يفيه الجميع حقه من التقدير والتبجيل. ونحن أحوج بل نحن أيضا إلى الماضي الجميل لمدرستنا الجزائرية حتى وإن روجت لثقافة غربية بامتياز.

ب- **تكوين المعلم:** يتولى أستاذ التعليم الثانوي مهمة تدريس مادة تعليمية بعينها لتلاميذه كونه متخصصا فيها، فيقدمها بأسلوب ممنهج يتفق مع بيداغوجيا التعليم المتبعة، كما يكونهم علميا ومعرفيا ومهاراتيا وفقا للبرامج والمناهج الرسمية بما يضمن تحقيق مبدأ الجودة. و في هذا المقام يشير الأستاذ "عبد الحميد إبراهيم قادري" إلى الصورة الواقعية الراهنة لبعض الأساتذة قائلا: "فقد وقفنا على أساتذة يتحكمون في المادة العلمية، ولهم قدرة فائقة في الحوار، لكن تسمع جعجعة ولا ترى طحينا. وإفادتهم لتلاميذهم متدنية، وفعاليتهم التعليمية والتربوية محدودة جدا، وطريقتهم في التعليم مضطربة، ومشوشة وغير مرتبة ولا ممنهجة، تتسم بالاستطراد وحشو المعلومات، ذلك كله سببه أن الأستاذ لم يتعود على النظام ولم يهتم بتحضير دروسه، وإذا حضر فهو تحضير شكلي (قادري، 2013، 85-86).

وما زاد الوضع تأزما هو تقزيم فترة تكوين الأساتذة الجدد إلى بضعة أيام لا تغني ولا تسمن من جوع، -والتي تنظم بمجرد نيل منصب العمل-. فيشير الدكتور عبد القادر فضيل في كتابه الموسوم "المدرسة في الجزائر - حقائق وإشكالات" إلى هذه المشكلة قائلا: "مشكلة إعداد المعلم ظلت قائمة منذ البداية، فلم تعالج الأوضاع التي كانت تحيط بها، والتي ظلت تعوق القطاع عن تحقيق المستوى المطلوب، الذي يرفع مستوى الأداء المدرسي، إذ لم تحدد بكيفية علمية وفعالة أساليب الانتقاء (انتقاء من يصلحون لهذه المهمة)، ولم تضبط المواصفات التي تشترط في المترشح لمهنة التعليم، ولم تضبط كذلك المواصفات و الملامح التي يجب إن يتخرج بها من تلقى برنامجا تكوينيا (فضيل، 2013، 445).

كما يطرح الدكتور "عبد القادر فضيل" إشكاليات عدة حول تمكن المدرسة العليا مثلا أو أية مؤسسة جامعية بنظامها الحالي أن توفر تكوينا شاملا وملائما للذين يرشحون لمهن التعليم في المراحل الدنيا، أولئك الذين نعددهم للقيام بتربية أطفال يدخلون رحاب المدرسة لأول مرة ويبدوون رحلتهم الشاقة نحو عالم المعرفة، ويحتاجون إلى شخص فنان في العمل البيداغوجي. فهل تستطيع الجامعة أن توفر هؤلاء التكوين الشامل الذي يعددهم للتلاؤم مع هذه المهنة، ومع أخلاقياتها ومع الظروف المدرسية الحالية والنظام التربوي الذي يجبر المعلم على الاضطلاع بتدريس أكثر من عشر

مواد تعليمية، تتطلب كل مادة خبرة بيداغوجية وأسلوباً منهجياً إلى جانب الخبرة المعرفية ويتفاوت أسلوب تناولها من صف لآخر (فضيل a، دت، 194).

3-1- التأطير التربوي والإداري: لقد تم تقدير (749232 ألف موظفاً) بالمؤسسات التربوية العمومية خلال الدخول المدرسي 2018/2017، حيث يمثل التأطير البيداغوجي ما نسبته (89.9%) منهم، أما البقية فهم يمثلون التأطير الإداري. وتوزعت هذه الفئة العمالية على الأطوار التعليمية الثلاث على النحو الآتي (وزارة التربية الوطنية b، 2018):

- التعليم الابتدائي : يشغل به ما نسبته (43.1%) من إجمالي اليد العاملة في القطاع.
 - التعليم المتوسط : يشغل ما نسبته (34.5%) من إجمالي اليد العاملة في القطاع.
 - التعليم الثانوي: يشغل ما نسبته (22.4%) من إجمالي اليد العاملة في القطاع .
- بالرغم من العدد الهائل لليد العاملة في قطاع التربية، إلا أنه يظل غير منسجم مع متطلباته، ليتم الاستنجاد بالقوائم الاحتياطية آلياً لتغطية النقص سواء من حيث التأطير الإداري أو التربوي دون تكوين جاد و فعال، مما يولد مشكلات توافقية مهنية بالجملة من سوء تسيير وتقدير للأمور، واعتباطية في اتخاذ القرار ترجع في الأساس إلى سوء الاختيار للعامل. والطريف في الأمر أن قطاع التعليم هو الذي يختص بالتوظيف بأعداد ضخمة مقارنة بباقي القطاعات، ومنه وفي إكراه اضطراري نجد غالبية خريجي الجامعة الجزائرية يتوجهون إلى العمل في هذا القطاع العمومي في إدراك أو جهل منهم لمتطلبات هذا العمل السيكوميهنية، ليضطدم الكثير منهم في بداية عهده بعقبات ومطبات تحد من أدائهم المهام الملقة عاتقهم وبخاصة إذا تدعم بالتكوين والإعداد المهني الهش أو السطحي.

2- المعوقات البيداغوجية:

تعد المدرسة البيئة التعليمية التي يتلقى فيها المتعلم مختلف العلوم و المعارف (محتوى دراسي) بطرائق و أساليب بيداغوجية ممنهجة بما يتماشى مع التوجهات العامة للسياسة، وعليه جاءت المقاربة بالكفاءات (ج 1/ج 2) كمحاولة لبناء الكفاءة في وضعيات تعليمية متتالية ومتكاملة. وفي سياقات التغيير والإصلاح لمنظومة التربية مس الإصلاح أيضا الكتاب المدرسي.

يكتسي المحتوى الدراسي مكانة في المنهاج التربوي، حيث أنه يعكس نوعية المعارف والاتجاهات والقيم والمعلومات والمهارات التي يتم اختيارها ثم تنظيمها وفق نسق معين. ويضمّن الكتاب المدرسي المحتوى الدراسي الذي ينقله المعلم لطلابه على مراحل يحتكم فيها إلى عوامل الأهداف و الطرائق والكم المعرفي والزمن المخصص للتدريس.. (نمر دمس، 2008، 28).

1-2- محتوى الكتاب المدرسي: إن الكتاب المدرسي الورقي كتاب يطور المعارف الواجب اكتسابها في مادة تعليمية في مستوى معين. وهو يقترح دروسا مكاملة بوثائق (صور، رسومات، مراجع...) مبتكرة أو منقولة. كما يتضمن التمرينات التي تسمح بتقويم المكتسبات وتبنى الكتاب المدرسي مسعى تعليميا خاصا (مرزوقي و تيلوين، 2003، 10).

ولأهمية الكتاب المدرسي في العملية التعليمية والتعليمية تم تكليف أربع مؤسسات وطنية تعنى بوضعه والتي تتمثل في المعهد التربوي الوطني، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، المركز الوطني للتوثيق التربوي، المعهد الوطني للبحث في التربية (مرزوقي و تيلوين، 2003، 39).

بالرغم من ذلك قد تتخلل هذا الكتاب البعض من الأخطاء المعرفية واللغوية النحوية. كما أن البعض مما تتضمنه الكتب المدرسية لا يراعي المستوى الإدراكي والنفسي للمتعلم، مما يخل بالمعنى الحقيقي للموضوع المدروس، فيؤدي إلى بناء مشوه ومغلوط للمعرفة لدى المتعلمين، وخاصة عندما لا يتنبه إليها المعلم، مما يجعلها تترسخ لديهم... وعلى وقع الأخطاء المتضمنة في كتب الجيل الثاني قدمت لجنة من الخبراء والمختصين في الشؤون التربوية من جمعية العلماء المسلمين تقريرا حول الإصلاحات التربوية، وبخاصة ما تعلق بالأخطاء في الكتب المدرسية. فإنه خلص إلى أن فكرة الكتاب الموحد التي تبنتها الوزارة فكرة غير موفقة وغير صائبة". كما تضمن التقرير نماذج حول الأخطاء الواردة في بعض الكتب مثل العربية على سبيل المثال لا الحصر في الصفحة (93-101-77-49-97). وكتاب التربية الإسلامية في الصفحة (68) (سالم، موقع الكتروني).

إن المطلع على محتوى كتاب التربية العلمية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي فإنه يتبين الكم الهائل من المعلومات الدقيقة التي في اعتقادي لا تراعي المستوى الإدراكي للمتعلمين، كدروس حول الجهاز التنفسي، الجهاز الهضمي، الدورة الدموية... والتي تتناسب ومدركات تلاميذ الصف المتوسط.

إن الكتب المدرسية- التي تعد بمثابة السند والمرجع الذي يستند عليه المتعلم في استيفاء معارفه -تشكل معيقا أمام تحقيق نوعية جيدة من التعليم. وفي ثنايا حديثنا عن الكتاب المدرسي؛ نلاحظ أنه لا يوجد توافق بين المنهاج والكتاب لأن الذين وضعوا المنهاج ليسوا هم الذين ألفوا الكتاب أو اشرفوا على تأليفه، لذلك نجد التباين بين الكتاب والمنهاج. وهذا ما جعل الوزارة تغير من حين لآخر المضمون التعليمي، ولكنها تبقى على الكتاب كما هو أو العكس، تغير الكتاب وتبقى على المنهاج... والخلل الذي نلمسه في نظام التعليم، نجده بارزا في المجالات الأربعة في المنهاج وفي الكتاب وفي طريقة التعليم وفي الطريقة المتبعة في التقويم (فضيل b، دت، 120).

2-2- التقويم التربوي: تتضمن العملية التربوية التعليمية كثيرا من المحاور الأساسية التي تحقق لها النجاح اللازم لتنشئة الأجيال البشرية تنشئة صالحة فاعلة في مجتمعاتها، محققة لذاتها ولغيرها التقدم والازدهار. ومن بين هذه المحاور

نجد التقييم، حيث تعد الاختبارات أحد وسائل التقييم المتنوعة. وهي وسيلة رئيسية تعمل على قياس مستوى تحصيل الطلاب والتعرف على مدى تحقيق المنهج الدراسي للأهداف التربوية المرسومة له. والكشف عن مواطن القوة والضعف في ذلك ومدى التقدم الذي أحرزته المدرسة، وبذلك يمكن على ضوئه العمل على تحسين وتطوير العملية التربوية والتعليمية والسير بها إلى الأفضل (المظفر، دت، 400-401).

في ظل الإصلاحات التي خضعت لها منظومة التربية الوطنية، جاءت إصلاحات التقييم كنتيجة ضرورية تصحيحية لمسار التعليم في الجزائر، واختصت النشرة الرسمية للتربية الوطنية توضيحا عن سيرورة عملية التقييم في ظل تبني استراتيجية المقاربة بالكفاءات، حيث تركز النظرة الجديدة لتقويم التعلمات على المبادئ المنهجية التالية (وزارة التربية الوطنية، 2005، 5-6) :

✓ لا يتناول التقييم في منظور تنمية الكفاءات معرفة منعزلة، بل هو معالجة تهدف إلى الحكم على الكل وهو في طور البناء مدرجا لمختلف الموارد المشكلة للكفاءة.

فإعداد التلاميذ وفقا لهذا النمط من التقييم يستلزم اختبارهم في وضعيات معقدة، تتطلب حلها توظيف مجموعة مكتسبات أساسية.

✓ يجب إدماج الممارسات التقييمية في المسار التعليمي تمكن من إبراز التحسينات المحققة واكتشاف الثغرات المعرقة لتدرج التعلمات. وبالتالي من تحديد العمليات الملائمة لتعديل عملية التعلم ولل علاج البيداغوجي. ومنه فالخطأ ليسا عجزا، وإنما هو مؤشر لصعوبة ظرفية ضمن مسار بناء الكفاءات. لذا يجب استغلال الخطأ بصفة آنية لتشخيص أسبابه و القيام بعملية علاجية هادفة تفاديا لعرقلة التعلمات اللاحقة

✓ إن أساليب التقييم التحصيلي لابد أن تعتمد أساسا على جمع معلومات موثوق منها ووجيهة بشأن المستويات التدريجية للتحكم في الكفاءات المستهدفة قصد تكييف التدخل البيداغوجي وفق الحاجات المميزة للتلاميذ.

✓ إن النتائج المدرسية (في التصور التقليدي للتقويم) يعبر عنها في شكل تنقيط عددي، وقصد تدعيم قراءتها يجب مرافقة هذه العلامات بملاحظات ذات مدلول نوعي تشكل دعما لمجهود التعلم، ووسيلة تضمن علاقة بنائية بين كل من التلميذ المعلم والولي.

✓ يجب اعتماد التقييم على وضعيات، تجعل التلميذ على وعي لاستراتيجياته وتمكنه من تبني موقفا تأمليا لتقدير مدى ملاءمتها و فعاليتها.

لقد بدا جليا أن المنشور الإطار 2018/2019 يولي اهتماما بالتقويم التربوي؛ على اعتبار أنه أحد مرتكزات العمل التربوي، إذ يهدف إلى الوقوف على الخلل ومكان القوة والضعف في الفعل التربوي لتصحيحه أو تعديله بما

يتماشى والأهداف العامة و الغايات المسطرة للتعليم والتعلم. حيث جاء في متنه ما يلي (وزارة التربية الوطنية، 2018):

- ✓ ضمان توزيع ووضع حيز التنفيذ كل المخططات السنوية للتعليمات، والتقويم البيداغوجي والمراقبة المستمرة على مستوى التعليم الأساسي. كما يجب توزيع التدرجات السنوية على مستوى التعليم الثانوي، إذ تعتبر هذه المخططات والتدرجات كوثائق مرجعية لتوجيه وتعديل الفعل البيداغوجي في القسم، وكمعالم للمتابعة تسمح بتقويم دوري لتنفيذ البرامج الدراسية.
 - ✓ تطبيق أساليب التقويم الجديدة على مستوى التعليم الأساسي، تمنح هذه الأساليب مكانة أكثر أهمية لتقويم التعليمات. ويدخل هذا الشكل من التقويم استراتيجية للمعالجة والتعديل.
 - ✓ ترسيخ ممارسات التقويم التشخيصي بتحديد مدته، وأنماطه في بداية السنة الدراسية، قصد توجيه التعليم والتعليمات انطلاقاً من القدرات الحقيقية للتلاميذ.
 - ✓ وضع حيز التنفيذ أجهزة متفرقة للمعالجة، وللمتابعة البيداغوجية للتلاميذ الناجحين إلى الأقسام العليا بعد اجتيازهم امتحانات الاستدراك، وكذا التلاميذ المنتقلين إلى السنة الثانية ابتدائي، والذين لديهم صعوبات في اللغات الأساسية (العربية و الرياضيات).
- بالرغم من الترسانة التوجيهية التنظيمية للعمل البيداغوجي إلا أنه يعاني مشكلات كثيرة وأهمها، ما تعلق بعملية التقويم ليصيبها الخلل واللافعالية، وهو ما أشارت إليه الأستاذة "زهراء كشان" في كتابها "الإصلاحات التربوية في المدرسة الجزائرية" التي تتجلى فيما يلي (كشان، 31):
- اكتفاء المعلم بالاختبار الشهري عادة إياه تقويمياً، ليكتفي بوضع درجة جزافية فصلية في خانة التقويم المستمر في الدفتر المدرسي من أجل الإدارة و الأولياء.
 - الاختبارات تقوّم بعيداً عن شبكات التصحيح المخطط لها في المناهج، ولا تشمل معايير التقويم الثابتة حيث البعد المعرفي والبعد الحسي الحركي والبعد الوجداني بل تقويم المعرفة وحدها.
 - ملف التقويم والمتابعة وتقويم الكفاءات يعتمد على وثائق كثيرة تهدف إلى تقويم المعرفة، وتقويم المتعلم كل على حدا مما صعب مهمة المعلم.
 - المنهاج يعمل على تقسيم شخصية المتعلم والمعرفة، وتدعو هذه الازدواجية إلى تقييم المتعلم وحده، وتقييم المعرفة لوحدها. في حين الاختبارات والامتحانات على أرض الواقع لا تقوم إلا المعرفة وحدها.

3-2- كثافة المقررات الدراسية: إن عملية التقويم التربوي لا تنحصر في الكشف عن مكامن القوة الضعف لدى المتعلم، بل إنها تتجاوز هكذا فهم. لتخضع العمل التربوي بما يتضمنه من مناهج وأهداف وأساليب بيداغوجية إلى الفحص والتقصي لاستجلاء النقائص والهفوات التي من شأنها أن تضعف في اداءات الفعل التربوي. نحن نعلم أن الترجمة الحقيقية للأهداف التربوية تتجلى في المحتوى المعرفي المتضمن في الكتب المدرسية؛ وبالاعتماد على طرائق بيداغوجية يتم تلقينه إلى المتعلم وفق خطط تربوية مضبوطة ومدروسة في مراعاة لطبيعة المحتوى المعرفي ذاته والقدرات الاستيعابية للمتعلم. فعادة ما يتم تدريس المواد التجريدية كالرياضيات في بداية الفترة الصباحية، أما المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا بالإضافة إلى اللغات فتدرس بعد ذلك، أو تدرس أثناء الفترة المسائية، وهذا بالطبع مرتبط بالفرع العلمي الذي يدرسه المتعلم.

فالشعب العلمية والتقنية تولي اهتماما بالمواد العلمية والتجريبية والتقنية كالرياضيات والفيزياء والعلوم، وبالتالي فالحجم الساعي الأسبوعي المخصص لها أكبر مقارنة بالمواد الأدبية، والعكس بالنسبة للفروع الأدبية واللغوية. بالرغم من ذلك توجد البعض من المعوقات التي تحل بالعمل التربوية وتضعف من مهمة تلقين المعرفة و بالتالي بناء الكفاءة المستهدفة.

تطرح مشكلة كثافة البرنامج أو المقرر الدراسي تحديا أمام المدرس والمتمدرس في محاولات تكاد تكون عقيمة من أجل ضمان بناء الكفاءة بشكل سليم، خاصة في ضوء المساءلة حول نسبة تقدم الدروس. مما يدفع بالمدرس إلى حشو أدمغة المتعلمين حشوا مضرا، ومولدا ضغطا مستديما ومزمنا لطرفي العملية التربوية. ومن بين ما يستتجد به أو يلجأ إليه المدرس كمنخرج أو حل لمثل الوضع هو المطبوعات البيداغوجية المثقلة بالمعلومات مع الاكتفاء بشرح بعض محتواها في عجالة من الأمر .

إن الكم الهائل والمتنوع من المعارف والعلوم التي يتلقاها المتعلم في مدة زمنية وجيزة، تجعل من التعليم عبارة عن عملية تخزين وتكديس للمعارف في عقول المتعلمين، دون إدراك ووعي لحقيقتها وجوهرها في فهم سطحي لها، يخلو تماما من العمق والتحليل. ليجعل من التعليم لا يترقى بتفكير المتعلم إلى مستويات التفكير العليا من تحليل وتركيب واستنتاج فتفكير ناقد فابتكاري....

3-المعوقات المادية:

إن البيئة المدرسية التي يسودها مناخا مدرسيا صحيا سليما تزيد من مستوى فعالية مدخلاتها من معلمين ومتعلمين ومؤطرين... ومن بين ما يضمن توفر مثل هذا المناخ المدرسي التنظيمي الصحي توفر الإمكانيات المادية المطلوبة بخصائص ذات جودة عالية وكفاية تتوافق وعدد المعلمين والمتعلمين. ومن أجل ذلك يتم تخصيص ميزانيات مالية للإنفاق على قطاع التربية الوطنية من إنشاء لمؤسسات تربوية واقتناء للتجهيزات التربوية سنويا فضلا عن ضمان

صيانتها وإعادة إصلاحها كي لا تؤثر سلبا على سيرورة العمل التربوي. وفي هذا السياق ننوه إلى أنه تم تخصيص ما قدره (709.6 مليار دينار جزائري) لصالح قطاع التربية كميزانية تسيير (وزارة التربية الوطنية b, 2018). بالرغم من ذلك تبقى المدرسة الجزائرية تعاني خطبا ما في هذا المجال مما يدخلها في دائرة للاوظيفية و من شأن هذه النقائص الحد من تحقيق جودة التعليم. ولعل من أهمها ما يلي:

1-3-الاحتفاظ في الأقسام الدراسي: لقد ظل قطاع التعليم في الجزائر يحظى بعناية واهتمام على عكس بعض القطاعات، حيث تم تجميد مشاريعها في ضوء ما تعانيه الجزائر من أزمة مالية خانقة، حيث سيوفر قطاع التربية الوطنية (26997 مؤسسة تربوية) توزع على مستويات التعليم بنسب مختلفة وهي (وزارة التربية الوطنية b, 2018):

- التعليم الابتدائي: قدر تعداد المؤسسات التربوية بهذا المستوى ب (19049)

- التعليم المتوسط: قدر تعداد المؤسسات التربوية بهذا المستوى ب (5508)

- التعليم الثانوي: حيث قدر تعداد المؤسسات التربوية بهذا المستوى (2440)

ولقد جاء هذا الاهتمام نابعا من الخلفية البيداغوجية المتمثلة في المقاربة بالكفاءات التي تعمل على بناء الكفاءة مرحليا لدى المتعلم في ظل استنطاق وتنمية للمكتسبات السابقة. ومنه فإن توفير المناخ التربوي السليم والأمن يزيد من حظوظ التلاميذ في الاستيعاب فالإكتساب المعرفي، وبالتالي الرفع من مستوى مخرجات التعليم. فالمعلم الذي يدرس عددا من التلاميذ لا يتجاوز عددهم (20) في القسم الواحد وبما يتوافق وتخصصه الأكاديمي وقدراته التكوينية يشعره بالراحة. كما يدفعه نحو أداء مهامه المطلوبة. ومن أجل ذلك تعمل وزارة التربية الوطنية على تحسين شروط التمدرس؛ وهو ما أشار إليه المنشور الإطار 2019/2018 (وزارة التربية الوطنية b, 2018).

- ✓ تشكيل الأفواج التربوية بمراعاة المقاييس التربوية المعمول بها ومرافق الاستقبال المتوفرة والهيكل المتوقع استلامها.
- ✓ العمل على تقليص تعداد الفوج التربوي بأقصى ما يمكن على مستوى الطور الأول من التعليم الابتدائي، وتوسيع ذلك إلى السنة الأولى ومتوسط والسنة الأولى ثانوي قصد تدعيم التعليمات و تجانسها.
- ✓ توسيع فتح أفواج متعددة المستويات للمدارس الابتدائية التي بها تعداد إجمالي الأطوار أقل أو يساوي (50 تلميذا).
- ✓ الثلاثة بالسهر على صيانة المحلات وانتظام تسليم الهياكل المدرسية والتجهيزات الجديدة.
- ✓ تعزيز قدرات الاستقبال في مستويات التعليم .

بالرغم من ذلك تعاني بعض المدارس الجزائرية أوضاعا سيئة؛ كهشاشة البنية القاعدية لبعض المؤسسات التربوية، مع قلة في المرافق البيداغوجية. ليدفع ببعض الأولياء بالاكثفاء بتعليم أبنائهم في شاليهات... ولعل أسوأها هو تكويم وتكديس عدد هائل من المتعلمين في حجر دراسية واحدة ليلعب تعدادهم (50)، كما تنعدم فيها أدنى شروط التمدرس، لتصبح بذلك عقبة أمام ضمان جودة التعليم.

2-3-التجهيزات والأدوات التعليمية: وهي المكونات المادية التي تستخدم في عرض ونقل المادة العلمية التي تحملها المادة التعليمية مثل الحاسب الآلي (جهاز تعليمي)، جهاز عرض الشفافيات (جهاز تعليمي)، السبورة (أداة تعليمية) (فرحات، 2017، 76). وفي هذا الصدد تشير الأستاذة "كشان" إلى أن الوسائل المتوفرة بالمدرسة الجزائرية قديمة موروثية على المدرسة التقليدية ولا تلي المنهاج و لا ترضي المعلم والمتعلم، كما أن الأنشطة اللاصفية المعتمدة في المناهج الخاصة بالتربية الإسلامية و التربية المدنية لا تفعل في المدارس (كشان، دت، 46).

كما تبقى الأدوات المساعدة في عملية التعلم والتعليم قديمة نوعا ما، في ظل غياب ما يعرف بالتعلم الرقمي. وإن وجدت فهي تكاد لا تتناسب والحجم الهائل من جحافل المتعلمين. كما قد يفضل بعض القائمين على المؤسسات التربوية الاحتفاظ بها في المخازن على وضعها في خدمة العملية التعليمية، فتتآكلها الأتربة، ويتجاوزها الزمن لصالح وسائل أكثر حداثة، لتفقد أهميتها وقيمتها.

الخاتمة:

تعد المدرسة الجزائرية مؤسسة تربوية تعمل على صناعة مجتمع المعرفة من خلال توفير مختلف الآليات التي بإمكانها أن تساهم في بناء الفرد المواطن الصانع لحضارته المدرك لأدواره الاجتماعية الدافع لعجلة البناء، في ظل ما يتفق و السياسة العامة للدولة و يتوافق مع تطلعات الشعب و طموحاته.

بالرغم من ذلك تعاني المدرسة من مشكلات عدة و تحديات جمة تجعل من تحقيق مبدأ في عملية التعلم والتعليم أمرا صعبا يستوجب منا جميعا أولياء ومعلمين وساسة... أن نعمل سويا لتتكاثر جهودنا من اجل تذليل هذه الصعوبات وتجاوز المعوقات بغية جعل المدرسة صانعة لمجتمع المعرفة.

تأسيسا على ما سبق؛ ومن اجل تجاوز هذه المعوقات او تذليلها بما يفيد تحقيق جودة في التعليم نوصي بما يلي:

- إعادة بناء العلاقة التفاعلية بشكل سليم و أوضح بين عناصر العملية التربوية لجعلها أكثر توافقية؛ مع إحداث تغيير جذري في الصورة الذهنية الانطباعية المكونة حول هذه العناصر، ويتم ذلك من خلال اتخاذ القرارات الجزائية الجريئة في حق من يعمل على تشويه صورة المعلم و المتعلم... على السواء.
- أجراء التكوين البيداغوجي للمعلمين لضمان تكوين نوعي بعيد عن السياقات النظرية، فضلا عن عدم إثقال المكون بترسانة من التعليمات الجوفاء غير المحدية في العمل التربوي.
- ضبط آليات القياس والتقويم التربوي مع جعله أكثر فعالية و مرونة و الأهم أكثر موضوعية في إدراك من طرف المعلمين لآلياته مع الحرص على العمل وفقا لضوابطه.
- إجراء تقويم موضوعي للمحتوى المعرفي للكتاب المدرسي بالوقوف على الهفوات والأخطاء المتنوعة المتضمنة به من اجل بناء كفاءة سليمة غير مشوهة لدى المتعلمين ويتم ذلك بدءا من المعلم حيث يكتشف الأخطاء ويبلغ عنها

مستويله و هكذا بهدف حصرها و تلافيتها في النسخ القادمة. هذا بالإضافة إلى ضرورة ضمان انسجام و توافق مستواها المعرفي مع القدرات الاستيعابية للمتعلمين.

- توفير التجهيزات والأدوات التعليمية بالعدد الكافي وبالجودة المطلوبة على مستوى المؤسسات التربوية مع ضمان الاستفادة الحقة منها.

- جعل البيئة المدرسية فضاء آمنا من خلا إحلال الانضباط والانتظام بها، مع تفعيل دور المجالس التأديبية في تعاملها اجرائيا تجاه ذوي السلوكات المضادة بالمؤسسة التربوية.

المراجع:

- 1 - الشراوي، انور محمد (2013). التعلم -نظريات وتطبيقات، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 242-256
- 2- المظفر، ابي لبيد ولي خان (د). طرق التدريس وأساليب الامتحان، شبكة المدارس الإسلامية، 400-401
- 3- بن محمد، علي (2001). معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية، دار الأمة، الجزائر، 35-38
- 4- بوترعة، إبراهيم (2014). التربية والتعليم - بين الأمس واليوم- خصائص التعليم في الجزائر وتطور الفكر التربوي، دار الخلدونية للنشر، الجزائر، 416
- 5- خليفة، عبد اللطيف محمد (200). الدافعية للإنجاز، دار غريب ، القاهرة، 17
- 6- خوري، توما جورج (1996). الشخصية- مفهومها سلوكها- علاقتها بالتعلم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 164-165
- 7- دريدي، فوزي احمد (2007). العنف لدى تلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 13-17
- 8- زايد، مصطفى (1986). التنمية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر -1962/1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 91 .
- 9- فرحات، محمد حميد (2017). دليل المدرس -تقنيات التدريس وفق مناهج الجيل الثاني ، دار النشر جيطلي، الجزائر، 76
- 11- فضيل، عبد القادر (د). المدرسة الجزائرية- حقائق وإشكالات، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ، 194
- 12- فضيل، عبد القادر(د). نظام التعليم في الجزائر - بين مظاهر التدين ومستويات التحدي، دار جسر للنشر، الجزائر، ط1، 120
- 13- قادري، عبد الحميد إبراهيم (2013). الإدارة المدرسية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 85-86
- 14- كشان، زهراء (د). الإصلاحات التربوية الكبرى في المدرسة الجزائرية- بين الأسس النظرية والممارسات اليومية 2003-2013، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 46
- 15- مرزوقي، كريمة وتيلوين، حبيب (2003). الأدوار الاجتماعية والمهنية في الكتاب المدرسي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 10
- 16- محمد سالم. الشروق تنقل مضامين تقرير جمعية العلماء المسلمين حول إصلاحات وزارة التربية-بالأرقام والصفحات... هذه أخطاء الجيل الثاني في كتب بن غبريط، تاريخ التصفح : 2018/9/22 التوقيت 9:45 www.echoroukonline.com
- 17- نمر دمس، مصطفى (2008). استراتيجيات التقويم التربوي الحديث وأدواته، دار غيداء، عمان، 28
- 18- وزارة التربية الوطنية(2018). المنشور الإطار 2019/2018 رقم 1053 المؤرخ في 24 جوان 2018، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1
- 19- وزارة التربية الوطنية(2018). التربية الوطنية بالأرقام، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، أوت 2018 ، 2
- 20- وزارة التربية الوطنية (2005). -معهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم : وحدة النظام التربوي - سند تكويني لفائدة مديري مؤسسات التعليم الثانوي الاكاديمي، الجزائر، 23-24 .
- 21- وزارة التربية الوطنية(2005). النشرة الرسمية للتربية الوطنية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، العدد 488، افريل 2005، 5-6